والفريق : الجماعة من الناس وأشار به هنا إلى فريق من اليهود وهم شاس ابن قيس وأصحابه أو أراد شاسا وحده وجعله فريقا كما جعل أبا سفيان ناسا في قوله (إن الناس قد جمعوا لكم) وسياق الآية مؤذن بأنها جرت على حادثة حدثت وأن لنزولها سببا . وسبب نزول هذه الآية : أن الأوس والخزرج كانوا في الجاهلية قد تخاذلوا وتحاربوا حتى تفانوا وكانت بينهم حروب وآخرها يوم بعاث التي أنتهت قبل الهجرة بثلاث سنين فلما اجتمعوا على الإسلام زالت تلك الأحقاد من بينهم وأصبحوا عدة لإسلام فساء ذلك يهود يثرب فقام شاس بن قيس اليهودي وهو شيخ قديم منهم فجلس إلى الأوس والخزرج أو أرسل إليهم من جلس إليهم يذكرهم حروب بعاث فكادوا أن يقتتلوا ونادى كل فريق : يا للأوس ! ويا للخزرج ! وأخذوا السلاح فجاء النبي صلى ا عليه وسلم فدخل بينهم وقال : أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ ! وفي رواية : أبدعوى الجاهلية ؟ ! " أي أتدعون بدعوى الجاهلية " وقرأ هذه الآية فما فرغ منها حتى ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا قال جابر بن عبد ا : ما كان طالع أكره إلينا من طلوع رسول ا صلى ا عليه وسلم فلما أصلح ا بيننا ما كان شخص أحب إلينا من رسول ا صلى ا عليه وسلم فما رأيت يوما أقبح ولا أوحش أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم .

وأصل الرد الصرف والإرجاع قال تعالى (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) وهو هنا مستعار لتغير الحال بعد المخالطة فيفيد معنى التصيير كقول الشاعر فيما أنشده أهل اللغة : .

فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا و (كافرين) مفعوله الثاني وقوله (بعد إيمانكم) تأكيد لما أفاده قوله (يردوكم) والقصد من التصريح توضيح فوات نعمة عظيمة كانوا فيها لو يكفرون .

وقوله (وكيف تكفرون) استفهام مستعمل في الاستبعاد استبعادا لكفرهم ونفي له كقول جرير : .

كيف الهجاء وما تنفك صالحة ... من آل لأم بظهر الغيب تأتيني وجملة (وأنتم تتلى عليكم آيات ا) حالية وهي محط الاستبعاد والنفي لأن كلا من تلاوة آيات ا وإقامة الرسول عليه الصلاة والسلام فيهم وازع لهم عن الكفر وأي وازع فالآيات هنا هي القرآن ومواعظه .

والظرفية في قوله (وفيكم رسوله) حقيقية ومؤذنة بمنقبة عظيمة ومنة جليلة وهي وجود هذا الرسول العظيم بينهم تلك المزية التي فاز بها أصحابه المخاطبون وبها " يظهر معنى قوله صلى ا عليه وسلم " فيما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري " لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه " النصيف

نصف مد .

وفي الآية دلالة على عظم قدر الصحابة وأن لهم وازعين عن مواقعة الظلال : سماع القرآن ومشاهدة أنوار الرسول عليه السلام فإن وجوده عصمة من ضلالهم . قال قتادة : أما الرسول فقد مضى إلى رحمة ا وأما الكتاب فباق على وجه الدهر .

وقوله (ومن يعتصم با فقد هدي إلى صراط مستقيم) أي من يتمسك بالدين فلا يخشى عليه الضلال . فالاعتصام هنا استعارة للتمسك .

وفي هذا إشارة إلى التمسك بكتاب ا ودينه لسائر المسلمين الذين لم يشهدوا حياة رسول ا " صلى ا عليه وسلم " .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا ا حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون [102] واعتصموا بحبل ا جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت ا عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين ا لكم آياته لعلكم تهتدون [103]) انتقل من تحذير المخاطبين من الانخداع لوساوس بعض أهل الكتاب إلى تحريضهم على تمام التقوى لأن في ذلك زيادة صلاح لهم ورسوخا لإيمانهم وهو خطاب لأصحاب محمد " صلى ا عليه وسلم " ويسري إلى جميع من يكون بعدهم .

A E